الانسان الخفي

خطاب لشيخ الحسناء القاه في حفلة الجمعية الخيرية الارثوذكسية في طرابلس في هذا الشهر

اسعد الله مساءكم يا سيداتي وياسادة

اتذكرون ذاك الشاب في مثل هذا الموقف من عام مضى وقد شفه السقم واضنكته الملاريا فماثل شبحاً خارجاً من القبر واسمعكم بلسان لعثمته بقايا سعير الحمى صوتاً متهدجاً تقطعه انات الونى . ذاك البيروتي الذي حدثكم من فوق مثل هذا المنبر عن الوفاق بين الجنسين وبَّين لكم ان ذلك غير ممكن بالظواهر دون البواطن . وان مجرد لبس الرجل والمرأة من قماش واحد وكلهما طعاماً واحداً وعيشهما في بيت واحد لا يوفق بينهما ان لم تكن نفساهما متوافقتين متفاهمتين

ذاك المحدّث وقتئذ هو محدثكم الآن كلمكم مريضاً ويكلمكم صحيحاً رأيتموه ضعيفاً وترونه قوياً سمعتموه خافت الصوت وتسمعونه رنانه . وهو في كلا الحالين فائز باصغائكم له فلماذا كان هذه العناية منكم به والمريض كالفقير يتجنبه الاصحاء والاغنياء . لماذا لم تأففوا منه حينئذ وتسكتوه (بلطف طبعاً) ان لم يكن شفقة عليه فضنا بحاساتكم من التأثر بتأوهاته والتذمر من بلادته ؟ اليس لانكم انستم بنفسه صحة لم يضنكها مرض الجسم ؟ اليس لانكم آثرتم سمع صوت الانسان الخفي ولم تعبأوا بهيئة الانسان الظاهر ؟ نعم هذا الذي صبركم على سمع واهن مريض ولولم تنتبهوا الى الفرق بين الاثنين

زنبق طرابلس مشهور ومع كوننا اليوم في الربيع والطبيعة غنية بالزهر مع ذلك لا زنبق نرى ولا عطره نشم وانما نراه ونشمه بعين واتف الفكر كانا في الصيف اذ يزهر . فمن يرى الزنبق اذاً ؟ من يشم رائحته ؟ الانسان المستتر ام الظاهر ؟ الاول بلا خلاف لانه يرى ما لا يراه الثاني لان الفكر فيه ولولاه

لكانت العين لا تتمثل شيئاً قبل وقوعها عليه وان وقعت لا تفهمه · بل بامكاننا ايضاً تمثل الزنبق بكم يا ازاهر القيحاء · وهل من عطر از كى من ماثر الانسان ؟ الانسان الخفي خصوصاً قائد الظاهر · لا · لا عطراً معنوياً ولا جمالاً حياً الا ما رآه الانسان الخفي

والانسان الخفي من احدثكم عنه الان ولا اريد به مخلوقاً جديداً ادعي باكتشافه ادعاء كولمبس باكتشاف القطب · ولا وهو كالخفاش يظهر في الليل ويستتر في النهار · ولا شبح يبدو في اوقات معينة ثم يختفي · بل هو المخلوق على صورة الله ومثاله · هو نسمة روح الخالق · وان شئتم فعلى زعم البعض ابن السعدان

الانسان المعنوي موضوع حديثي · الروح او النفس · القلب والعقل والضمير كرائحة الزهر يشم ولا يرى واذا رؤيت مادته لا يلمس هو ، بل يدرك بالفكر وترى نتائج اعماله · هو ما لا يراه الانسان الظاهر وان يكن هذا يراه واريد بالانسان (طبعاً) كلا من الرجل والمرأة واخصهما في الآن من يتكلم عنها كأنه متكلم عن الاثنين معاً · واقتصر عليه سوريا لانني اعرف به مني بسواه وليست اعمال هذا الانسان الذي ترونه يا سادتي بالعيان الا مظهر ذاك المستتر موضوع حديثي الان والا ما الفرق بين العالم والجاهل او الشرير والفاضل وكلاهما من طينة واحدة وبتركيب واحد ما الفرق بين الغبي الذكي لا يفهم الكوع من البوع وبين الذكي المتفنن النابغ والاثنان من نسل آدم · حتى بالشكل ايضاً يتشابه البعض وقد تتماثل هيئاتهم تماثلاً كلياً ولكن ارواحهم تختلف واذواقهم تتباين ولذلك تختلف الاعمال وتتباين النتائج ولو تشابهت الاشكال وتماثلت الهيئات لان الانسان الخفي مصدر كل حركة باتيها الانسان الظاهر

الانسان الخفي قائدنا في مجاهل هذه الحياة · مثلما يكون نكون ان صالحاً فصالحين وان فاسداً فاشراراً مضرين وكل بحث في الانسان لابد من التعمق فيه

لداخل نفس الانسان واما اقتصاره عَلَى الظواهر فقط فكالكتابة عَلَى صفحات الماء او البناء في الفضاء . وهذا ما اردت تنبيه افكاركم اليه ونحن اليوم في فجر النهضة ودور الانتقال وكل ما نؤسسه نبني عليه ان بالرمل او بالصخر وقد لا تكون نتائج البحث مؤثرة في الكبار كل التأثير ولكنها تؤثر في الصغار . وحسبنا ان نشتغل للناشئة الاتية اذا لم يكن بامكاننا الشغل للحاضرة لان من نشأ عَلَى خلق شاب عليه ومن دربته منذ الصغر تكيف عَلَى ما تريد

تنبه فينا الشعور المادي دفتحسنا بالماديات وتنظمت احوالنا وانتقلنا من الاكواخ الى القصور ولبسنا الدمقس والحرير . توسعت تجاراتنا وتوفرت ثروتنا بدأنا بتحسين الزراعة والصناعة كثر الصحافيون والاطباء والمحامون . هيانا كثيراً من اسباب الراحة ووفرنا وسائل اللهو والمسرات وسرنا في سبيل الازياء شوطاً بعيداً . وتعمقنا في الصرف والنحو والاعراب وتبلبات السنتنا ايضاً . الفنا الجمعيات انشأنا المدارس . عقدنا الحفلات كبرنا الكنائس . ومع كل ما عملناه من دلائل النهضة لم نزل مؤثرين الانسان الظاهر عَلَى الخفي وفي هذا الايثار ضرر بليغ

على اننا باشد احتياج الى الترقي الروحي منا الى المادي وفاضل فقير انفع للامة من شرير غني

كل الامم مرضى ولكل امة ادواء والفرق بينها في كيفية العلاج وفي نوع الدواء او في الاتكال عَلَى المقدر والاستسلام للداء

وداؤنا نحن السوريون في الانسان الخفي لا في الظاهر في الروح او في النفس في القلب والعقل والضمير

قلوبنا وعقولنا وضمائرنا كلها مرضى . مرضى بالروح نحن ياسادتي مرضى بالنفس ياسيداتي ومحدثكم في مقدمة المسمومين «بقيته في الحسناء التالية»